

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

من العدد ١٥ ملها

الاعتمادات

بمقتضى عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أدبية وفكرية وفنية

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المستول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - مابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

للمعد ٥٩٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ - الموافق ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

العقلية المصرية

للدكتور محمد مندور

لست ممن يركنون إلى اليأس أو يدعون إلى التذليل ،
وبودي لو نفقت في كل قلب إيماناً بالنفس وأماك في الحياة حتى
أرى جميع مواطنينا كالسكراة من الطايط ، كلما زدها صدماً
ازدادت قفزاً ، ولكنني مع ذلك عودت قرأتى الصراحة في
علاج مشاكلنا ، ولقيت داعماً ممن حظيت برأيهم تأييداً حاراً
صادقاً . ثم إنى أوجن بأنه لا خير في التماهي عن الواقع ، بل
لا خير في إنكاره ، لأن إنكاره لن يحجوه . وهأنذا اليوم أعالج
أخص ما نملك كأمة ، وهو العقلية المصرية . ولي في تلك العقلية
رأى ثابت استخلصته من احتكاكي الطويل بمقليات الشعوب
المختلفة وبخاصة الشعوب الغربية . وسأبسط هذا الرأي ثم أحاول
تفسيره لنستطيع ما نستطيع من علاج .

كنت أنا وزملائي من المصريين نتاق العلم سنين طويلة
بالجامعات الأوروبية مع طلبة من كافة الأجناس ، ولاحظت أن
الكثيرين منا كانوا يتفوقون على إخوانهم في الدرس تفوقاً
واضحاً . ثم عدت وعاد زملائي ؛ فإذا بالقليل منا من يوفق إلى
اكتشاف جديد في ميدان المعرفة ، بل إلى تجديد فكرة

الفهرس

صفحة

- ٩٨١ العقلية المصرية . . . : الدكتور محمد مندور . . .
٩٨٤ مقالات فكرية في محارب { الأستاذ عبد المنعم خلاف ..
الطبيعة
٩٨٦ أبو تمام بين أعدائه وأصدقائه : الأستاذ دريني خشيعة . . .
٩٨٨ تلك الروح وذلك اليوم . . . : الدكتور زكي مبارك ..
٩٩٢ اقتراح في إصلاح الرسم العربي : الدكتور علي عبد الواحد وافي
٩٩٦ ديوان أفراس الربيع . . . : الأنسة فدوى عبد الفتاح طوقان
٩٩٧ إلى الطبيب القدير الدكتور { الأستاذ عباس محمود العقاد . . .
حين همت
٩٩٩ شرح وحدة الوجود .. : الدكتور زكي مبارك . . .
٩٩٩ حول أبي فراس الحمداني : الأستاذ أحمد أحمد بدوي . . .
١٠٠٠ المكسوس ومدة حكمهم { الأستاذ مصطفى كمال عبد المليم
في مصر

معروفة أو تعميقها ، وعلى العكس من ذلك نسمع أن هذا الزميل الفرنسي ، أو ذاك الإنجليزي قد اهتموا إلى نظرية غير معروفة أو كشف الحجاب عن مجهول في مجال المادة أو مجال الإنسان . وأنعمت النظر في هذا التناقض الواضح فاستقر بنفسى أن العقلية المصرية سليمة قابلة ، بينما عقلية الغربيين إيجابية فعالة . فنحن نستطيع أن نحصل ما يلقى إلينا ، ولينا بلا ريب دون أحد في قوة الذاكرة ، ولكننا لا سكاذ نتخطى دور التقبل والتحصيل حتى يتبدل حمارنا ، ولقد ينجح بعضنا في الجدل ، ولكن بجهوده قلما يمدد فك الأفكار الأساسية كما تفك النقود إلى وحدات من البرونز ، ولا يقف تأثير تلك العقلية القابلة عند ميدان المعرفة ، بل يمتد إلى الحياة العملية ذاتها ؛ فترى الكثيرين منا حتى المثقفين ضيق الحيلة سيئى التصرف ، قليل الاعتماد على النفس والسير على أقدامهم أو الاهتمام إلى السبيل السوى عندما يضطرب حبل الأمور وتشتد المواقف

هذه ظاهرة لا أظن هناك ما هو أخطر منها في حياتنا ، ولابد من أن نأق عليها من النضوء ما يظهر مواضع الخلل في بنائها

لعل من أكبر الأسباب التي كيفت العقلية المصرية على النحو الذى ذكرنا تلك الحقيقة الواخضة ، وهى أنه قد يكون عندنا تعليم ، ولكن مما لا شك فيه أنه ليست لدينا ثقافة ، حتى لقد استطعنا في إحدى المقالات السابقة أن نتحدث عن أمية المعلمين ، والتعليم شئ والثقافة شئ آخر ، وإن كان من الممكن أن يصبح التعليم ، إذا أقيم على مناهج سليمة ونهض به أساتذة أكفاء ، وسيلة من وسائل التثقيف ، التعليم كما نلاحظه عندنا تلقين للمعارف ، وأما الثقافة فتكوين الماكات ، وهذا

مالا وجود له بيننا تقريباً ، وفي الذرب نستطيع أن نقول إن عملية التثقيف تبدأ مع الميلاد ، وهذا هو ما يبر عنه المفكرون بقولهم إن خلف الأوروبيين قروناً من الثقافة يتوارثونها ابناً عن أب . وهذا قول لا يخلو من تجوز ، ومع ذلك فهو صحيح ولغهم بلجاً بعض المفكرين إلى البحث في تأثير النشاط الثقافى على مراكرنا العصبية ، وتوارث تلك المراكز مشكلة مكيفة ، ولكن هذا بحث تركه لأنه في نظرنا لا يقل غموضاً ومجازفة

لقد ناقشنا بإحدى الصحف مشكلة الأخلاق ؛ فرأينا أن التربية ان تجدى في علاجها قدر ما يجدى إصلاح النظم التي تمكن الفرد من أن يصل إلى حقه ويدفع عن نفسه العدوان بوسيلة كريمة غير الرجاء الذى تفتشى في بلادنا كالوباء . وباستطاعتى اليوم أن أجد في نفس هذا الإصلاح علاجاً للعقلية المصرية . وليس يخاف أن العلاقة متينة بين العلم والخلق ، وقديماً قال أحد المفكرين إن علماً بلا خلق خراب للنفس ، وفي الحق ماذا يستطيع في مجال العلم رجل لا يملك حتى الثقة بنفسه والاعتزاز بكرامته . وعندما تضطرب النفس وتقاذفها الآلام كيف تريدها أن تسير على كشف مجهول أو متابعة حقيقة أو استقصاء رأى . نعم إن العلماء في كافة بقاع الأرض لا تأخذ نفوسهم شهوة المادة ، وتماقهم الأول إنما هو بجوهر الفكر الخالد ، ولكن هذا لم يمنع الهيئات الاجتماعية التي يعيشون بينها من أن توفر لهم أسباب الحياة ، وتمكنهم من وسائل البحث . وأما نحن ففى وضعنا معملاً تحت تصرف عالم ، أو رزقاً ضرورياً في متناول أديب . وهبنا أدينا استعداداً لأن نفعل ذلك فكيف السبيل لهذا العالم ، أو ذاك الأديب أن يظهر مواهبه في بلاد بلغ فيها الثغرات في الثراء مبلغاً عض معه الفقر ملايين من

ولكن هذا الصائح لن يلبث أن يوقننا في دور ؛ فن لي ولكم
بأنجاز ذلك ، وهو لا يبدو هيئاً إلا في الكتابة ؛ هذه إصلاحات
لا بد أن يسوق إليها رأى عام قوى ، وهذا الرأى لن يتكون إلا
باستنارة العقول . والسبيل إلى تلك الاستنارة هو أن نسكت في
نفوسنا النعرات الباطلة ، وألا نستنكف في الأخذ بمن سبقونا
في الحضارة ، وألا نمل تكرار ما نأخذ عنهم ، حتى يستقر في
النفوس وينزل منها منزلة الإيمان ؛ فعندئذ يصبح الفكر عملاً ،
وإذا بمقاييئنا السلبية القابلة تستحيل إيجابية فاعلة . فالיום الذى
نؤمن فيه أن لكل فرد حقاً يجب أن يقال به غير رجا ؛ فإن لم
يفله حكم له به قضاء عادل ، واليوم الذى نؤمن فيه بأن لكل فرد
أن يستغل ملكاته ، وأن يُمكن من وسائل ذلك الاستغلال ،
وأن جهده لا بد أن يقوته على نحو جدير بمستوى الإنسانية ،
واليوم الذى نؤمن فيه بأن للفكر الإنسانى كرامة لا تدانها
كرامة المال ، حتى تقرر الهيئة الاجتماعية لرجاله بما يستحقون من
وجاهة وتقدير ، هو اليوم الذى سيمتد فيه المصرى بألا تكون
عقليته سلبية قابلة ، بل إيجابية فاعلة

محمد مندور

البشر الذين لا يمكن أن ندم - لو واتهم الفرص - أن
يمتد بينهم على نفر ولو قليل ممن حباهم الله مواهب النفس .

إذن فعدم تهيب الجو الثقافى الصحيح في منازلنا ودور تعليمنا
من جهة ، وفساد نظمنا الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى
عاملان كبيران في تكييف العقلية المصرية . ولربما كان هذا
هو السبب في أن الكثيرين ممن يعودون من أوروبا من شباننا
لا يلبثون قليلاً قليلاً أن يخذلوا الوسط ما فهم من حساسة
ويثبط ما في قلوبهم من عزم بحيث لا نستبعد لو أن أحدهم بعد
تخرجه باشر حياته العملية في أوروبا لاستطاع خيراً مما يستطيعه
هنا ، وإن كنت لا أنكر أن تقرأ غير قليل منهم لم ينزحوا إلى
الغرب إلا بعد أن أخذوا طابعا شبيه نهائى ، وكانت أمتهم
من الصلابة بحيث لم تستطع ملاسة الوسط الجديد والتشبع
بثقافته وطرق حياته ؛ فلم تجد فيهم رحلة ولا أجدى اغتراب .
والآن كيف السبيل إلى علاج تلك الظاهرة . وهنا قد
يصيح بى صائح ، ولكن السبيل واضح نستطيع أن نجده
فما أسلفت من قول ، فما عليك أروعلينا إلا أن نصلح نظمنا ،
وأن نهى ما تريد ونريد من جو ثقافى في منازلنا ودور علمنا ،

ظهر أوبرا كتاب

مِنْ يَوْمِيَّاتِ مُحَمَّدٍ

المؤتاد

عبد حسنى الزيات

الحايب

كتاب يجمع نحواً من مائة يومية تؤلف سوراً حبيمة من الحياة النفسية والذهنية النجوى ، وخواطر
نفاذة في الحماة ، وما يتصل بها من قضايا وقضاء وقفه واشتراح وأدب واجتماع
كثبت في مختلف الزمان والمكان ، ومتنوع المناسبات ، وأحدثها مناسبة المؤتمر الأول للمحاميين العرب ، بدمشق

نمن النسخة خمسة وأربعون قرشاً صاغاً مصرياً

يطلب من مكتب المؤلف بشارع إبراهيم باشا رقم ١٠ بمابدين بالقاهرة ومن المكتبات الشهيرة

صلوات فكر

في محاريب الطبيعة !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

حتى لا يكون وراء هذيانها وبحرّانها بحمسي الألم ، وانكسار
أعوادها بقاصمات الظهور شيء من بأس الكفر بالحياة والجحود
لستقبلها فيما وراء هذا العالم الفاني من العالم الباقي
فاسكب اللّحم فيضك ونورك على أرواحنا ، وأوسع ما بينها
وبين رحمتك ، ولا تُظمّها فتجعل هذا الفيض غوراً بفيض
ولا بفيض !

هياة مضاعفة

لست أحيّا حياتي وحدي ... وإنما أشمر أني أحيّاها معها
حيوات جميع الكائنات التي أدركتها بالفكر والقلب !
وتظهر قيمة رُحْب النفس الإنسانية من مثل هذا الشعور .
إن الإنسان إذا اتصل بالكون اتصالاً وثيقاً كان حَسَرًا
أن يقذف الله مُفِيضُ الحياة على قلبه فيؤسّأ من كل منيع من
منايع الوجود التي يتعرف إليها بفكره وقلبه !

الهياة بالحس وصره

يَلَدُّ لي أن أعيش حينئذ بالحس وحده في فراش دافئ وتير
في صبح يوم من أيام الشتاء جامد الفكر والجوارح لا أكاد
أحرك في فكري وجسدي قوة ! حين أتلقى من الحياة فيضاً
من فيوض الشعور بالجسد ! ... حينئذ أستقبل الحياة بأنفاسي
وحدها آخذها شهيقاً وأرسلها زفيراً في رتبة واسترخاء ...

وقد يدور في خلدي حينئذ طائف من الأفكار المحترنة
أجتريها في هدوء كما تجتري الأنعام الجائعة على العشب الطمام
المختزن في كسل واسترخاء واستغراق واستقبال لوجات فيض
الحياة من منبعها الخفي غافلة عما يدور في السكون ...

حينئذ يحلّ لي أن أسمع إلى أنفاسي تتردد بين الجو
وصدري ، وأن أسمع إلى نبضات قلبي التي تحتلج وتهتز لها كل
خلية في جسدي وتنفضي بها لمة من لمات روحي ...

حينئذ أشعر بحمّان غامر يغمر أعضائي وآلاتي العاملة في
دورب وقوة وصبر منذ أن دارت دورتها الأولى مع نسمة الحياة

في فيض الحياة

أحياناً ينبثق في روحي فيضٌ غامرٌ من الحياة كما ينبثق
الماء في حوض جاف ... ولن يقيد روحي وقت ذاك قيد ما ،
بل تسكون كمين تَرْتَرُ تنفجر فتشق الصخر العاني وتجرف
السدود كما يجرف السيل الحصى والحطب والغشاء ... وأنا
حينئذ أحسُّ بالإنسانيّة الفائقة ، ويزداد شعور تقى بنفسى
وإقما على الحياة ...

وأعني أن بشيع هذا الشعور الفائق الفيض في جميع
أرواح أبناء آدم . سواء كانت أرواح تلك الأجسام العاجية
الوردية ذات العيون الصافية والشعور الذهبية والمعنوية ، التي
أتحيلها راقصة ضاحكة في أفراح الحياة مغمورة بخمار الحب
وسكرات الجلال وطُغور القوة ... أعني لها ذلك حتى لا يكون
خمارها خمار الغفلة والزهو والركون إلى فترات الحياة اللاهية
مع إهمال ما وراء هذا العالم الفاني من العالم الباقي ..

وأعني أن تشيع هذه القوة أيضاً وهذا الشعور الفيض
في أرواح تلك الأجسام القبيحة الضعيفة الكئيبة ذات العيون
المنطفئة والجلود المجمدة المخددة والشعور السكّيرة التي تعبت بها
نساء الحياة كأنها شعور حجاجم موتى تعبت بها ربح ثقيلة ...
والتي تتخيل بياض النهار سواد ليل ، وذهب الضحى خرف
تراب ، وحرير الورد إبر شوك وقتاد ... وترقص على ذلك رقصة
ذبيح يجرجر جسمه المهالك في رعشة الموت وحشرجة الفناء ،
وتقصُّ بريقها وتاكل أكبادها من الحسرة ، وتشرب سم
دموعها من النسمة وتطمع غسيلنا وزقومنا ... أعني ذلك

روائح الجنة

الجنة في الأرض ولكنها غير دأمة ، نراها في رحاب الجلال في زمان الربيع في سكرة الحب في حالة صفو النفس ورضاها عن نفسها وعن ربها ، وقت أن تقول ليس في الإمكان أبدع مما كان !

ولو دامت النفس على هذه الحال لاستراح الناس إلى الدنيا باستراحتهم من أحاسيس القبح والشناعة والشقاء واعتكار البال والسخط على الحياة

ولكن الله حين لم يرد لنا الدوام في هذه الأرض ، لوّح لنا بالجمال والقبح ، والرضا والسخط ، والراحة والشقاء ، ودأبها على نفوسنا حتى نعلم أن السكّال ليس هنا ، وأن النقص الذي نراه ونذكره هنا هو وسيلة إلى إدراكنا للسكّال التام هناك . وما تحلم به النفس من المتاع الدائم والقدرة عليه والانتقال السريع إلى درجة الكشف عن رحاب السموات والأرض في خطرة النفس ولمحة البصر ، ولقاء الأحياء بعد الموت والخلود معهم ، وعدم وقوف عائق أمام إرادة النفس ، وعدم استعصاء شيء على الإدراك و... كل أولئك هو من عالم الجنة ، عالم « ما تشبهه الأنفس وتكذّب الأعين » و « لهم فيها ما يدعون » و « لا مقطوعة ولا ممنوعة » و « عرضها كمرض السماء والأرض » و « ما أخفى لهم من قرة أعين » و « رضى الله عنهم ورضوا عنه » و « رضوان من الله أكبر »

إن الله يداول جميع المعاني الأرضية على القلب البشري كما يداول « الفنان » أنفامه على أوتار قيثارة . وفي القلب البشري أوتار الألحان لا بد من استمالتها لتهتز نوعاً ما من الحياة لا بد منه في الدنيا . وانفعال النفس تحت العوامل الدنيوية هو الذي ولد لها خواصها ، وأخرج منها معانيها الكامنة وكما تحرث الأرض بالمحارث وتمزق بالفتوس لتخرج كوامن العناصر تُمِدُّ بها الزرع لا بد من حرث النفس بعوامل النعمة والشقاء حتى تخرج كوامنها .

عبد المتعمم موهوب

التي نفخها فيها نافع السمات ، فابتدأت تدور طائفة مع جماعات الأحياء التي ترقص برعشات الحياة !

الحياة بالفكر ومهره

وفي كثير من الأحيان أشعر بخفة في جسمي كأنى لا أحمله ولا صلة لي به إلا إذا تحسسته بيدي ... وحينئذ قد أشعر أننى صوت أو نظره أو سمع لا أكثر

يعتيرني هذا الشعور غالباً حين أكون في الظلام في مهب نسيم رقيق ...

ترى ، هل يكون إحساسنا بالكون بعد اسلاخ أرواحنا من أجسامنا هكذا ؟ فنصير كائنات مجردة من الأجسام ، ترى وتسمع وتحس بدون هذه الوسائط المادية ؟

على أى حال إن هذا الشعور مَدْخُلٌ ندخل منه إلى عالم كائنات الأفق الأعلى الذي يلي أفق حياتنا ...

الكون الجبرير رائماً

أرى الكون صباح كل يوم كأنما فرغ من صنعه الصنائع الأعلى في التروّ والساعة أ ولا أجد فيه قديماً إلا ذهني الذي أحس أنه يعرض على صوراً قديمة من الأيام السابقة ...

إن الله مُحَيِّفٌ بالكون مُجَدِّدٌ عوامل الحياة والنور فيه ! ولو أنصفنا لصحونا من نومنا كل صباح كأننا مخلوقون في ذلك الصباح وحده . ولأهملنا ما في ذاكرتنا من ذكريات الآلام في الأيام السابقة ، حتى نتجدد مع الكون

الكون أوبر الإزول

كما تخيلت نفسي فرداً واحداً في غمرات الناس ، وذرةً ضئيلة بين هذا الكون الواسع المائل الجبار تنظر بهمينين ضئيلتين إلى دوّلاب الحياة الدائر وإلى وجه الله القيوم على ذلك الكون وما وراءه ، أحسست بهول المسألة الكبرى والنبأ العظيم الذي بنيت في الكون والسر الخفي الذي خلق له ... !

وحينئذ لا أملك إلا ما تملكه الذرة الصغيرة التي تحملها ربح عاصف وتضرب بها في لجج الأرض في سفر لا ينتهى !

٢- أبو تمام بين أعدائه وأصدقائه

للأستاذ دريني خشبة

في أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي أن أعداء أبي تمام احتجوا فيما احتجوا به على سرقائه بما رواه^(١) أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل الكاتب قال : دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعراً ، وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم ، فقلت : ما هذا ؟ قال : اللات والعزى ، وأنا أعبدهما من دون الله منذ ثلاثين سنة !

وقد دافع الصولي عن أبي تمام فقال : وهذا إن كان حقاً فهو قبيح الظاهر ، ردى اللفظ والمعنى ، لأنه كلامٌ ما جزم مشفوف بالشعر والمعنى أنهما شغلاني عن عبادة الله عز وجل ثم انطلق الصولي ينفي تهمة الكفر عن أبي تمام ، وفاته أن المقصود بالرواية هو إكباب أبي تمام على شعر أبي نواس ومسلم ينتهب من معانيهما ما يشاء . وقد دافع الصولي عن أبي تمام دفاعاً جيداً ، إلا أنه ليس — في نظري على الأقل — أبجد من اتهام الآمدي^(٢) له ، واستقصائه سرقائه بجمعها واحدة فواحدة إلى أصحابها ، هذا وإن اشتط الآمدي وأفرط في ذلك إفراطاً يبدو من ثنائه تجنيه على أبي تمام ، وظلمه له أحياناً ... والذي يعنى الآمدي من سخطنا هو إلمامه الواسع بأشعار العرب ، ومقدرته المدهشة في رد السرقاق إلى أصولها من أشعار قائلها ، وأستاذيته التي تنجلي في إدارة حوار بين صاحب أبي تمام وصاحب البحرى ، والفصول القيمة التي أظهر فيها سقطات أبي تمام في الموازين والنحو والبيان والبديع ، وما إلى ذلك كله من نواحي الضعف في شعره

والذي يدرس أبا تمام في هذين السكتين الفريدين من كتب النقد العربي ، يرى كيف أن الناس — على حد ما ذكره المسعودي في مروج الذهب^(٣) كانوا فيه طرفي تقيض ... متمصبله يعطيه أكثر من حقه ، ومنحرف عنه معاند له ... أو كما قال أبو الفرج صاحب الأغاني^(٤) : وفي عصرنا هذا من يتمصب لأبي تمام ، فيفرط ، حتى يفضل على كل سالف وخالف ، وأقوام

يتمدون الردى من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ، ويتمعملون القحّة والسكابة في ذلك ؛ وعبارة أبي الفرج توحى بما كان يشمره لأبي تمام من إعجاب . وقد ذكرنا في كلمتنا ما كان يقوله دعبل في شعر أبي تمام ، من أن ثلثه مرققة ، وثلثه غث ، وثلثه صالح . وقد روى الصولي بعد هذا الخبر عن دعبل أنه كان يقول : لم يكن أبو تمام شاعراً . وإنما كان خطيباً ، وشعره بالكلام أشبه منه بالشعر

وقد أشرنا إلى خصومة ابن الأعرابي ، تلميذ الفضل الضبي والكسائي ، لأبي تمام ، وقد وعت بطون كتب النقد أعاجيب شتى من أبناء تلك الخصومة تعد من النوادر في أخبار الخصومات الأدبية : فمن ذلك ما ذكره الطوسي قال : وجه بي أبي إلى ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعاراً ، وكنت معجباً بأبي تمام . فقرأت عليه من أشعار هذيل ، ثم قرأت أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل :

وعاذل عدلته في عذله فظن أني جاهل من جهله
حتى أتممتها ، فقال : اكتب لي هذه ، فكتبتها له ، ثم قلت : أحسنه هي ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها ! قلت إنها لأبي تمام ! فقال : خرق خرقاً أي مرق ، مرق !
ومع ذلك ، فقد كان ابن الأعرابي ، هذا الحجة الفاضل ، يحفظ كثيراً من شعر خصمه أبي تمام ، ويتمثل به ، وهو لا يدري أنه له ؟

وعلى هذا النحو كان الناس في عبقري الشعر العربي . وعلى هذا النحو ، لا يزال الناس في أبي تمام !

والحق الذي لا يمارى فيه إلا مكابر ، أن أبا تمام كان نادرة زمانه في الشعر العربي ، بل إنه لا يزال نادرة هذا الشعر حتى اليوم ، فليس في شعراء العربية من استطاع أن يصور كما صور أبو تمام . وليس فيهم من استطاع تلوين صوره كما لونها هذا الشاعر المقتن المبدع^(٥) ، وذلك لا يعارض ما أثبتته عليه خصومه

(١) مما نذكره معجبين ، في هذا الصدد ، ذلك الفصل القيم ، أو تلك الفصول القيمة ، التي جلي بها الدكتور الفاضل شوقي صيف الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول مقدره أبي تمام على التصوير ، وذلك في رسالته القيمة « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » تلك الرسالة التي لا يرى بدا من توجيه أنظار شعراء الشباب إلى ما تضمنته من بحوث عميقة جديدة في الشعر العربي ، منذ الجاهلية إلى الآن . ونرجو أن تسجلنا ظروفنا بمناقشة بعض آرائها التي لا نوافق الأستاذ الفاضل عليها مع اعتراقاتنا بنظم ما فيها من حسنات .

(١) ص ١٧٣ (٢) الموازنة بين أبي تمام والبحرى

(٣) ج ٢ ص ١٥٣ (٤) ج ١٥ - ص ١٠٠

من سطوره الكثير على معاني الشعراء ، ذلك السعوط الذي كان يفتن أبو تمام في إخفاء معالنه وستر مصادره بهذا الهرج الكثير من الصنعة البيانية ، وتلك المركبات البديعية التي كانت تأتي زاهرة باهرة أحياناً ، وملتوية ممقذة لا تسكد تفهم أحياناً أخرى : وما ظنك بهذا الالتواء الذي يشتد ، حتى لا يفهمه عبد الله التوزي - أو التوضي ، تلميذ أبي عبيدة والأصمعي ، الذي قال فيه المبرد : ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبي محمد التوزي ، كان أعلم من الرياشي والمازني ! فقد سئل هذا الرجل عن شعر أبي تمام فقال : فيه ما أستحسنه ، وفيه ما لا أعرفه ولم أسمع بمثله ، فإما أن يكون هذا الرجل أشعر الناس جميعاً ، وإما أن يكون الناس جميعاً أشعر منه ! (الصولي ص ٢٤٥) والعجيب أن يعترف بذلك الصولي نفسه وهو (محامي) أبي تمام وقد ذكرنا كلمته التي أقر فيها بأنه : ليس أحد من الشعراء يعمل المعاني ويخترعها ويتكى على نفسه فيها أكثر من أبي تمام وأنه متى أخذ المعنى زاد عليه ، ووشحه ببديعه ، وتم معناه ، فكان أحق به ! وقد ذكر الآمدي أن أبا تمام كان يتعلم في شعره ويتفلسف (الموازنة ص ٢ - ١١) ويصف بمدوحه يارمز إلى عقائد بعض الفرق الإسلامية ، فيزيد ذلك في غموض شعره ويضاعفه ، ويتمسر فهمه على غير من يعرف تلك العقائد ، ويلم بهذه الأسرار : فقله من مدحة في أبي سعيد :

فلو صح قول الجعفرية في الذي تنص من الإلهام خلفاك ملهما لا يفهم حتى نعرف أن الجعفرية فرقة من الشيعة تنتسب إلى جعفر بن محمد ويدعون له الإلهام ، كما يحدثنا بذلك التبريزي في شرحه لديوان أبي تمام ، وكما نعرف ذلك من كتب الملل والنحل مثلاً ، ثم قل مثل ذلك فيما يصادفك من أبياته التي تنبئ باللامه بالذاهب والعلوم والفلك والنحو والمنطق مما كان يجيد الرمز به والإشارة إليه ، متعمداً مرة ، جاريًا على سليقته أحياناً . وكله مما لا نرى أنه يدخل في باب الشعر ، بل هو ، كما ذكرنا في كلامنا عن ثقلة أبي الملاء تمام من أبي تمام على أهل زمانه المتعالمين . أما ثقافة أبي تمام الحققة ، فتتخصر في سعة إلامه بشعر من تقدمه من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والأمويين والعباسيين ، ودقة

فهمه لعمانيهم ، وحسن اطلاعه على مذاهبهم . وقد اشتغل فعلاً بالتصنيف الشعري ، يؤيد ذلك ما ذكره البديعي في كتابه « هبة الأيام » ، فيما يتعلق بأبي تمام « من أن له (كتاب الحاسة) الذي دل على غزارة فضله وإتقان معرفته ، وحسن اختياره ، وكتاب فحول الشعراء جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ، وكتاب الاختيار من الشعراء . وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره ، حتى قيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للمرب غير المقاطيع والفصائد (١) . وذكر البديعي كذلك سبب تصنيف أبي تمام ديوان الحاسة ، فقال (ص ١٣٨) : « فإنه لا وصل إلى همدان (في رحلته شرقاً) ، وكان في زمن الشتاء ، والبرد في تلك النواحي شديد ، خارج عن حد البرص ، قطع عليه كثرة الثلج طريق مقصده ، فأقام بهمدان ينتظر زوال الثلج ، وكان نزوله عند رجل عنده خزانة كتب فيها دواوين العرب وغيرها ، فتفرغ لها وطالعها واختار منها كتاب الحاسة ». وفي مؤلفات أبي تمام بقول الآمدي : (ص ٢٣) : « كان أبو تمام مشتهراً بالشعر ، مشغولاً به ، مشغولاً مدة عمره (بتخمينه) ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة ، فمنها الاختيار القبائلي الأكبر ، اختيار فيه من كل قصيدة ، وقد مر على يدي هذا الاختيار : ثم اختيار آخر لم يورد فيه كبير شيء للشعراء المشهورين ، ثم اختيار ثالث تُلقت فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام ، وأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ، ومنها اختيار تُلقت فيه أشعاراً من العشرة المقالين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبوبه أبواباً وصدره بما قيل في الشجاعة ، وهو أشهر اختياراته وأكثرها في أيدى الناس ، ويلقب بالحاسة ، ومنها اختيار المقطعات ، وهو محبوب على ترتيب الحاسة ، إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين ، وصدره بذكر الغزل ، وقد قرأت هذا الاختيار وتلقت منه نفعاً وأبياتاً كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره ،

(١) هبة الأيام ص ١٠ : وفي هذا الكتاب مناقشات منعمة لدرجات أبي تمام ودفاع مجيد عنه

تلك الروح وذلك اليوم

للدكتور زكي مبارك



بعد جفوة مسبوقة بنذير يئس القلب أثقل اليأس ، واليأس
يتجسم أحياناً فيصير أثقل من الجبال ، وأبرد من الثلج
ثم بدت الحياة لعيني وكأنها بيداء قفراء ليس فيها نبات
ولا ماء ولا ظلال

كنت أسير في شوارع القاهرة فأراها تنوح بالبشر
والإبناس ، وأرى القاهريين كما عهدت مسرورين منشرحين ،
كأن الدنيا ليست في حرب شعواء ، وإنما هي في حرب خفيفة
الظل ، هي الحرب بين العيون والقلوب

وكنت أنظر فأراني وحيداً شريداً ، وإن كان من يراني
يتوهم أنني ماضٍ إلى ميعاد ، فقد كانت القاهرة فيما سلف من
أيامي ملاعب المواعيد اللطاف

لقد اغتربت أسابيع كانت لهولها أطول من الآباد ، بفضل
الجفوة المسبوقة بنذير من تلك الروح ، وكنت أخشى أن يطول

ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين ، وهو موجود في أيدي
الناس . وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وأنه اشتغل به ،
وجمله وكده ، واقتصر من كل العلوم والآداب عليه ، فإنه
ما شيء كبير من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه
واطلع عليه ... »

وينقل الآمدى من ذلك إلى قوله : « ولهذا أقول إن الذي
خفي من سرقاته أكثر مما قام منها على كُثرها ، وأنا أذكر
ما وقع إلي في كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا منها
واستخرجته ، فإن ظهرت بعد ذلك منها على شيء ألحقته بها
إن شاء الله »

ثم يأخذ بعد ذلك في حصر سرقات أبي تمام ووردها إلى
مصادرها . فإلى أي حد وفق الآمدى في ذلك ؟ سنرى

(ينبع)
وربني فحشه

اغتراني فيما بقي من أطيايف حياتي ، فما حياتي بعد تلك الروح
غير أطيايف

هذا هو اليأس ، وذلك طعمه المرير ، وتلك أيامه السود
وحاولت أن أعيش في ظلال الذكريات فتكدر عيني ،
لأن تلك الروح لا تزال بمافية ، وهي سائرة إلى غيري إن
ضاعت من يدي ، فما في الدنيا جمال يمشي بلا عاشق ، ولو كان
مقدوداً من الصخر الجلود

لا بد من رجمة أعنف من رجمة السيل ، لا بد من اقتناص
تلك الروح من جديد ، لأحميها من الضيم وأحيي نفسي من الموت

قلت لنفسي : إن هنالك غنيمة مضمونة وهي سماع صوتها
في الهتان ، فما نطقته كلمة « ألو » إلا تملت أنها بلبل جماله
كاه في الخلق

وبكلمتين اثنتين تواعدنا على التلاقي ، فأين النذير ؟ وأين
الجفاء ، وأين اليأس ؟

إن عقول المحبين عقول أطفال !
كان يجب أن أنتظر في حديقة البيت ، وأن يكون في يدي
كتاب ، مع أنني لن ألقى تلك الروح في ضوء الصباح

وتخفق أرواح في الطريق فلا ألتفت ، لأن الروح التي
أنتظرها لن تغيب عني ، وإنني لأشعر بخطواتها على أبعاد الألوف
من الأميال

ما هذا الذي أراه ؟

إن الروح ثقيل وقد تجسمت في عروس من عرائس البحر
في دمياط ، وأنا أتلقاها بقلب قبست ناره من كهرياء الوجود

— أنت ؟

— أنا ؟

— ومن أنت ؟

— أنا العاشق الذي صبر فظفر بعد صبوة دامت أكثر

من عشر سنين

— وتستحق عطفى عليك ؟

— إن رأيت يا روحى أن تؤدى زكاة الجلال

ثم يدور الحديث بما يعجزنى ، لأن الروح تقول :

« لقد أوحينا إليك »

فأهو إجماع تلك الروح ؟

أمرتنى أن أصف لحظات التلاقى ولحظات العتاب ،
وتلطفتم فلم تأمرنى بوصف وجهها الروهاج ، ولو أنى أطمعها
لا كتفيت بكلمة واحدة ، وهى أنى بها أعيش ، ولها أعيش ،
فألحياة بدونها مَذاق

غنائمى من حياتى هى التعرف إلى تلك الروح ، وانتظار
عطفتها فى أوقات الكروب ، وليس فى الوجود بجانب عطفتها
كروب

ثم صحوتنا فوجدتها تشكو عدوان أظفارى . كتب الله عليها
أن تشقى إلى الأبد بعدوان أظفارى ! إن كنت جرحت جسمها
فقد جرحت قلبى ... والجروح قصاص

أنا صحوت ؟ هو ذلك ، وما الذى يمنع من أن أخادع نفسى ؟
قضيت اليوم التالى وأنا لا أصدق أن ما وعته الذاكرة من
وقائع الليلة التى مضت كان وقع بالفعل ، فما تسمح الدنيا الغادرة
بمثل ذلك النعيم ، إلا أن يكون حلماً من الأحلام

وأستنجد بالهتاف لأسمع « ألو » ، ولأعرف أن ما وقع
حقيقة لا خيال ، فيكون الجواب بالإثبات مصحوباً بالاستغراب
من شطحات صوفية وأنها تلك الروح بواذر جنون

وأخذ بتلايب الفرصة فأدعو إلى لقاء ثانية لأقيم البرهان
على أنى عاقل لا يحنون

اللقاء الثانية بالنهار لا بالليل ، وبالصحراء لا بالبيت ، ثم
يدور الحديث :

— أنت مصر على أن الوجود ليس فيه فضاء ؟

— نعم

— وما دليلك ؟

— الدليل حاضر ، وهو أن ما نراه فضاء هو فى الواقع

مسكون بالأربطة الكهربائية التى يتماثل بها الوجود ، وهو
باعتراف الجميع مسكون بالهواء ، فهو ليس بفضاء

— سلمتُ إلى أن أجد ما ينقض رأيك ، ولكن الذى

لن أسلم به أبداً هو إصرارك على أن كل موجود فيه حياة
حتى الجماد

— الجماد كلمة اصطلاحية فقط ، ولكنه فى الحقيقة يحيا ،

كما يحيا الحيوان والنبات ، وأنا سأجد الشواهد من الحجارة
المنشورة فى الصحراء ... انظرى هذه زلطة فى حجم ثمرة الدوم
وشكل ثمرة الدوم

— أظن أنها دومة تحجرت ؟

— هو ذلك بالفعل ... ثم انظرى فهذه زلطة فى حجم

الخيارة وشكل الخيارة

— هى أيضاً خياره تحجرت ؟

— نعم

— ولماذا لا تتحجر جميع الثمار ؟

— لأنها ليست جميعاً فى قابلية متساوية ولا فاعلية متساوية

— والنتيجة ؟

— النتيجة أن الجماد الذى يتحول من وضع إلى وضع

لا يتم له التحول بدون حيوية ، وقد جهل أبو العلاء حين قال :

والذى حارت البهية فيه

حيوانٌ مُستَخْرِجٌ من جماد

— وما رأيك فى الآية الكريمة « يخرج الحى من الميت

ويخرج الميت من الحى »

— القرآن يمرض الظواهر التى تعارف عليها الناس لتكون

الحجة على القدرة الإلهية أقوى وأوضح ، فمن العجيب فى نظر

من لا يعرف أن تكون البذرة الخرساء أصلاً للدوحة الشماء ،

وأن تكون البيضة الصغيرة أصلاً لطيّار جميل يفرد أو يصيح

ولكن البذرة قد تفسد فلا يصدر عنها شجر ولا نبات ،

والبيضة قد تفسد فلا يصدر عنها طائر ولا حيوان

— ليس فى الوجود فساد ، وإنما هو تحول ، فالبذرة

الفاسدة والبيضة الفاسدة تعرضان إلى تعفن نعيش به خلالنا
— آمنت بالله وكفرت بفلسفتك

— لن تؤمنى بالله إلا يوم تدرकिन حقائق هذه الفلسفة ،
يا محبوبتي الغالية

— وأصدق أن الحجر فيه حياة ؟

— نعم ، في الحجر حياة ، وأمانه تتفاوت لهذا السبب ،
فالحجر الذي يباع رخيصاً في هذا اليوم لأنه لين ، سيباع غالياً
بعد ألف سنة لأنه صلب ، وإن صبرنا عليه مليون سنة فقد
يتحول إلى جرانيت ، وهذا هو الفرق بين محاجر طره ومحاجر
أسوان

— بدأت أفهم

— وأنا لو شئت أفهمت جميع الأغبياء

— أنا غبية ؟

— اسمي يا غبية ثم اسمي ، هذا البناء الشاهق مـ يقااف ؟
إنه يتألف من جمادات يأخذ بعضها برقاب بعض ، لأنهم جميعاً
أحياء ، فالجيس يعشق الطوب ، والأسمت يعشق الحديد ،
ويفضل هذا التماسق تنهض هذه البناءات الشواهي ، كما تبتم
الحجر حين يصالحها الماء

— وأنت بالأمس أنكرت الموت ، وهذا أغرب ما سمعت
من الآراء

— ليس في الوجود موت ، فالدجاجة التي ذبحناها
وشويناها ماتت في نظر الناس ، فكيف تستطيع وهي ميتة
أن تثير فينا النشاط حين نأكلها في صباح أو مساء ؟ واللحوم
التي نأكلها من استراليا محفوظة في علب هي لحوم حيوانات
بعضها ذبح قبل أعوام طوال ، ونحن نأكلها فنشعر بنشاط
وأريحية ، فكيف نصدق أنها ماتت ؟

— إننا نرى بأعيننا ناساً يموتون ، وندفنهم ونترحم عليهم ،
ونقيم لفراقهم الحداد

— إنهم يموتون موتاً عريضاً ، وهم في الواقع أحياء ، فلو
بدا لرجل أن يأكل قطعة متعفنة من جثة ميت لأصابته نوبة

تؤدي به إلى الهلاك ، وهو نقله من حالة اسمها الحياة إلى حالة
اسمها الموت في عرف الناس ... وهناك صورة أوضح من هذه
الصورة في تأكيد الحياة لمن نفهم أنهم أموات وهي خلود
الفكر وتأثيره الوصول من مكان إلى مكان على اختلاف الأزمان ،
فأفلاطون لم يموت ، والغزالي لم يموت ، والمتنبي لم يموت ، لأن هؤلاء
بتأثيرهم الروحي أحياء غير أموات

— والدكتور زكي مبارك ؟

— هو أيضاً لم يموت ، وسيجىء بفكره وروحه حياة
لا يعرفوها فناء ، وسيقال فيما يلي من الأجيال إنه أول شارح
لنظرية وحدة الوجود

— ولكننا نظرية غير إسلامية

— قلت ألف مرة إنني أتكلم باسم الفلسفة لا باسم الدين ،
فلا تثقل عليّ بأمثال هذا الاعتراض ، فأنا لا أفهمنا ظلموا أنفسهم
حين قالوا إن الفلسفة لا تخالف الدين ، وكانت النتيجة أن
يعتروا الفلسفة والدين

— بدأت أفهم

— ألم أقل إنني لو شئت أفهمت الأغبياء

— أنا غبية ؟ أنا ؟

— لو لم تكوني غبية لما كدرت هذه الساعة اللطيفة بهذه
الاعتراضات

— وهل يؤذيك أن أدعوك إلي شرح آرائك الفلسفية
ليعرضي من يهمونك في عقيدتك الدينية ؟

— الناس لا يهمونني في شيء ، فصايرنا جميعاً محتومة
بصورة أزلية ، وليس للمؤمن ولا الكافر إرادة فيما صار إليه ،
وليس هناك تمليل واضح اسحجر هذه العميون
— عيوني ؟

— عيونك وعيون ليلى المربضة في العراق

— يظهر أن تهمةك بالجنون لها أصل

— نعم ، وبعنون ليلى يتمتع من أن تفزوه ليلى بعينها
الكحيلتين وبينها وبينه مسافات تعجز عن اختراقها الشياطين

— أمكت يا مجنون !

— وهذا الفضاء الذى بينى وبين بغداد ليس بفضاء ، وإنما هو مجال لأشهرهم سحرية ترسلها ليلى فى كل وقت ، وإني لأراها ممي في هذه اللحظة كما أراك ممي

— اسكت ، اسكت ، فأنا أخاف أن تقتلنى الغيرة

— تفارين من الوهم يا غيبية ؟

— ليس هذا بوم ، إن ليلى تطاردنى فى كل يوم وتحاول أن تسد طريقى إليك

— ومن أجل هذا يا محبوبتى أنكر المكان وأنكر الزمان

— ماذا تقول ؟

— ليلى معنا ، أليس كذلك ؟

— بلى ، وأنا أغار منها أعنف الغيرة

— إذن فليس هناك مكان ، وهل تفارين مما وقع بينى وبينها فى سنة ١٩٣٧ ؟

— أغار ، أغار

— إذن فليس هناك زمان

— خيلتنى ، خيلتنى

— كذلك كانت تقول لىلى ، زادك الله وإياها خيالاً

إلى خيال !!

— هذا الحوار ينتهى بنا إلى وحدة الوجود ؟

— إن فهمت مرادى يا أجل غيبية رأيتها فى حياتى

— تلميذتك لا تكون غيبية

— إذن فاسمى ، ثم اسمى ، ليس فى الوجود فضاء

ولا سكون ولا موت

— آمنت وصدقت

— وليس فى الوجود زمان ولا مكان

— آمنت وصدقت

— وليس فى الوجود ماضٍ ولا مستقبل

— ما معنى ذلك ؟

— معناه يا طفلى أن الوجود كله خُلِقَ دفعةً واحدة ،

فلا ماضٍ والحاضر والمستقبل صور لحقيقة أبدية لا تحوّل ولا تزول

— لم أفهم .

— ستفهمين ، هل تؤمنين بالأحلام ؟

— أومن بالأحلام

— تؤمنين بأن الرؤيا قد تتحقق بعد سنين ؟

— هو ذلك ، ولى مع الرؤيا تواريخ ، فقد رأيتك فى

مناهى قبل سنين ، وكان فى الرؤيا أنك تمزج بين المجادلة والمنازلة

لأنخدع لك باسم العقل

— وأنا أيضاً رأيتك فى مناهى قبل سنين ، وكان فى الرؤيا

أنك تلميذتى لا معشوقتى

— وأنخدعت لك ؟

— تلك أضغاث أحلام !

— أسرع وحدثنى عن رأيك فى الأحلام

— اسمى ، الأحلام واقعة بلا ريب ، ولها تفسير

أختصرها فى تفسيرين اثنين : التفسير الأول هو تفسير بعض

علماء النفس ، وهو أنها تعبير عن رغبات مكبوتة تعبّر عنها فى

منامنا لئلا نراها بعد أيام أو أسابيع ، والتفسير الثانى هو تفسير

الدكتور زكي مبارك ، وهو أن لنا حاسة دقيقة تخترق المستقبل

فى بعض الأحيان فتحدثنا بما سيكون بعد أزمان طوال

— وكيف نعرف ما سيكون بعد أزمان طوال ؟

— كما يعرف علماء الفلك أن الشمس ستكسف أو أن

القمر سيكسف بعد عدد من السنين ، ومعنى ذلك أن الوجود

كله خُلق دفعة واحدة ، وأن الرجل الملهّم قد يرى فى منامه

ما سوف يقع ، لأنه سوف يقع ، ولو طال الزمان

تلك الروح ، وذلك اليوم ، وآه ثم آه من تلك الروح

وذلك اليوم ! تلك الروح ملك يدى ، وإن باعدت بينى وبينها

مساافات لا أعترف لها بوجود

وذلك اليوم ملك يمينى ، وهو يومنا الهائم بهجاء الصحراء ،

إنه يوم تجسّم فيه إيمانى بوحدة الوجود ، وأعلنت فيه

إشراكي بأرهام الغافلين

قيل إنه يوم ذهب ، وأقول إنه يوم لن يذهب ، لأنه

سيلاحقنى إلى البواقي من أياي ، وليس لأياي نهاية ، لأنى

قبّس من كهرباء وحدة الوجود ، فزكى مبارك

اقتراح في اصلاح الرسم العربي

للدكتور علي عبد الواحد وافي

استاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

قبل عرض الاقتراح ، يحسن أن أذكر كلمة قصيرة في عيوب الرسم العربي وآثارها ، لأنني قد راعيت في الطريقة الجديدة التي اقترحتها أن يتخلص رسما من جميع هذه العيوب وما يترتب عليها من نتائج

ترجع أهم عيوب الرسم العربي إلى الأمرين الآتيين :

(أولهما) أن السكّات تدون بحسب هذا الرسم في الكتابة والطبع عارية عن حركات حروفها ، أي مجردة من الإشارة إلى أصوات المد القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) التي تلحق الأصوات المقطعية في الكلمة

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ - أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصاً عريباً قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلاً صحيحاً إلا إذا كان ملكاً بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها إلاماً تاماً ، وكان فاهماً من قبل معنى ما يقرؤه . ففي معظم اللغات الأوروبية ، كما يقول قاسم أمين ، يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم ، وتتخذ القراءة وسيلة للفهم ؛ أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا أولاً ما نريد قراءته

٢ - أن النص العربي الواحد عرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن اللغة الفصحى . وذلك أنه قد حدث تفاوت واسع النطاق في أصوات المد القصيرة (التي يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة) في اللهجات العامية ؛ حتى أننا لا نكاد نجد كلمة باقية في هذه اللهجات على وزنها العربي الصحيح . فالنص العربي المجرد من الشكل عرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهجهم في وزن السكّات

٣ - أنه من التندر مع هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام (أسماء الأمكنة والبلاد والبحار والجبال والأناسي .. الخ) قراءة صحيحة ، إلا إذا كان القارئ يحفظ الكلمة وضبطها من قبل .

ولذلك تضطر بعض المعجمات إلى تهجي حروف السكّات التي من هذا القبيل والنص على حركة كل حرف منها

٤ - أن رسماً كهذا من شأنه أن يُشيع اللحن ، ويعمل على انحلال العربية الفصحى ، ويحول دون تثبيت ملكتها في النفوس ، ويحمل على الاستهانة بقواعدها ، ويصرف كثيراً من خاصة الناس أنفسهم عن الإلمام بضوابطها النحوية والصرفية ، لأن في استطاعتهم ، بفضل هذا الرسم المعيب ، أن يكتبوا ويؤلفوا بدون أن يكونوا ملينين بأصول هذه اللغة ، ولا مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر في كتاباتهم أي أثر لقصورهم هذا

(وثانيهما) أن للحرف الواحد بحسب هذا الرسم صوراً مختلفة : فله صورة إذا كان مفرداً وصورة إذا كان متصلاً بغيره ؛ وله صورة إذا كان في أول الكلمة ، وأخرى إذا كان في وسطها ، وثالثة إذا كان في آخرها

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ - أن تعدد هذه الصور من شأنه أن يحدث الارتباك والحيرة عند المبتدئين من المتعلمين ويطيل زمن تعلمهم للهجاء

٢ - أنه يكلف المطابع نفقات باهظة في الحصول على عدة نماذج لكل حرف من حروف الهجاء

٣ - أنه يخلق سموبات في الطبع ويرحق المال القاعين على صف الحروف من أسهم عسراً ، إذ يتردد الواحد منهم بين أكثر من مائة صندوق مختلفة في صور ما تشتمل عليه من نماذج ، فضلاً عن صناديق الشكل وعلامات الترقيم ؛ بينما لا يتردد للعامل القائم على صف الحروف الإفرنجية إلا على نحو خمسين صندوقاً

٤ - أن كثرة الصناديق وتعدد الصور للحرف الواحد ، كل ذلك يجعل عمل هؤلاء المال عرضة للزلل . ومن أجل هذا تكثر الأخطاء المطابعية في السكّات العربية بينما تندر جداً في السكّات الإفرنجية ، مع أن جامعي السكّات الأولى ومصلحي تجاربها يبذلون من الجهد في الجمع والإصلاح أضغاف ما يبذله زملاؤهم في السكّات الثانية

وقد قدّمت عدة اقتراحات لاتقاء هذه العيوب وآثارها

بعض بنفس الصورة التي ترسم بها الحروف المفردة في رسمنا الحالي ؛ هكذا : ا ب ت ث ج ... الخ

٢ - أن ترسم الهاء هكذا : « ه ه » ، والتاء المربوطة هكذا « ه ه » ، للتمييز بينهما وللنطق بكل منهما على وجهها الصحيح ، فينطق بالأولى هاء دائماً وينطق بالثانية هاء في الوقف وتاء في الوصل

٣ - أن ترسم حروف المد الثلاثة مجردة من العلامات والمقط ، هكذا : و ي ا . وترسم الألف اللينة ألفاً مطلقاً مهما كان أصل الكلمة وعدد حروفها . فشكلات : رى ، إلى ، على ، متى ... الخ ترسم ألفاً حسب النطق بها

٤ - أن يوضع فوق الواو التي ليست حرف مد علامة ثمانية صغيرة هكذا « و » (أو أية علامة أخرى) للتمييز بينها وبين واو المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٥ - أن يوضع نقطتان تحت الياء التي ليست حرف مد ، هكذا « ي ي » للتمييز بينها وبين ياء المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٦ - أن ترسم همزة القطع ألفاً فوقها همزة هكذا « أ أ » للتمييز بينها وبين الألف اللينة ولينطق بها القارئ على وجهها الصحيح . وترسم على هذه الصورة أيّاً كانت حركتها وحركة ما قبلها ، وأيّاً كان موضعها في الكلمة

٧ - أن ترسم همزة الوصل ألفاً فوقها علامة ثمانية صغيرة هكذا « ا ا » (أو أية علامة أخرى) وذلك للتمييز بينها وبين الألف اللينة وهمزة القطع ، وللإشارة إلى أنه لا ينطق بها مطلقاً في الوصل ، وينطق بها همزة في الابتداء

٨ - أن ترسم اللام الشمسية (التي لا ينطق بها في علامة التعريف) لاماً فوقها ثمانية صغيرة ، هكذا « ل ل » (أو أية علامة أخرى) ، وذلك للتمييز بينها وبين اللام القمرية وللإشارة إلى عدم النطق بها

٩ - أن يرسم الحرف الساكن بطبعه غير متبوع بأية علامة ، ويكون تجرده هذا دليلاً على سكونه (وأقول « الساكن بطبعه » لأن الحرف المتحرك إذا سكن في النطق لعارضه كالوقوف عليه مثلاً في آخر الكلمة يكون حكمه في الرسم حكم

ولكن معظم هذه الاقتراحات لا يحقق هذه الغاية تحقيقاً كاملاً ؛ والقليل منها الذي يحققها أو يدنو من تحقيقها يخلق لنا رسماً يختلف كل الاختلاف عن رسمنا الحالي ، فيقطع بذلك الصلة بين حاضرنا وماضينا ، ويحول بين الأجيال القادمة والارتفاع بالتراث العربي ، كما يبتدئ ذلك بتفصيل في كتابي « علم اللغة » و « فقه اللغة »^(١)

وقد كنت رأيت في كتاب « فقه اللغة » أنه من الممكن التغلب على صعوبات الرسم العربي « بالتزام شكل الكلمة التي من شأنها أن تثير اللبس عند أواسط المتعلمين إذا تركت بدون شكل »

ولكن ظهر لي فيما بعد أن هذا لا يقضى إلا على قليل من عيوب هذا الرسم ولا يبق إلا من بعض الأضرار التي أشرت إليها آنفاً هذا إلى أن رسم الشكل فوق الحرف أو تحته مع اتصال الحروف بعضها ببعض وضيق الحيز الذي يشغله كل حرف منها يجعل هذا الشكل عرضة للانحراف فيحدث الارتباك ويوقع في الخطأ والخيرة . فضلاً عن هذا كله فإن التجارب قد دلت على أن القلم كثيراً ما يزل في تدوين هذه العلامات الخارجة عن هيكل الكلمة وأن النظر كثيراً ما يتخطاها عند القراءة ، فلا تكاد تؤدي الغرض المقصود منها

لذلك فكرت في طريقة أخرى تخلص الرسم العربي من العيبين الرئيسيين اللذين أشرت إليهما وإلى آثارهما فيما سبق ، ونعني القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتهما ، وتقى القارئ والكتاب شرور الانحرافات المترتبة على هذا الصعود والهبوط ، ولا تقطع الصلة بين قديمنا وحديثنا ، بل تتيح للأجيال القادمة الانتفاع بترائنا القديم فاهتديت إلى طريقة يمكن تلخيص أصولها في الأمور الأربعة عشر الآتية :

- أن ترسم حروف الكلمة مفردة منفصلاً بعضها عن

(١) أنظر على الأخص كتاب « فقه اللغة » صفحات ١٧١ - ١٧٥ في الطبعة الأولى و ١٤٣ - ١٣٨ في الطبعة الثانية . وانظر كتاب « علم اللغة » صفحات ٢٤٦ - ٢٥٨ في الطبعة الأولى و ١٨٧ - ١٩٦ في الطبعة الثانية .

(حتى لا يلتبس بالواو إن رسمت بصورها المتداولة)

١٤ - وأما علامات الترفيم فتقسم الأنواع الآتية منها
 وفق صورها في الرسم الأفرنجي، وهي: « ١ » () . أما
 الفاصلة المجردة ، virgule فتقسم فوقها نقطة هكذا ، حتى
 لا تلتبس بالواو إن رسمت بشكلاها الأفرنجي وبالضمة إن رسمت
 بالصورة التي رسمها بها الآن في العبارات العربية « ، » . وأما
 الشرطتان اللتان تحصران بينهما الجملة المعترضة فيستبدل بهما
 القوسان حتى لا تلتبسا بالفتحة إن رسمتا بصورتها العادية :
 فترسمان هكذا ()

وفما يلي نموذج لتطبيق هذه الطريقة ، قالب البيت والمباراة
الآتيان (وهما يشتملان على نماذج لجميع القواعد الأربع عشرة
التي تقوم عليها طريقتنا) :

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
لكل قاعدة استثناء ، ولكل مطلق قيود
يدوران حسب الطريقة المقترحة على الصورة الآتية :

٨ ٨
 ١- لَسْكَيْف، أ- صَدَقَ، أ- نَبَأُ = مَرَن-
 ٨
 اَلْكَتَبَ، ب- فَي ح- دَرَّه- اَلْحَدُّ ب- يَن-
 ٨ ٨
 اَلْجَدَّ و- اَللَّغَ ب-
 ٨
 لَكْ، ل- قِ اَعْدَاةُ = اِسْتِثْنَا ، ،
 و- لَكْ، ل- م، ط- قِ = قِ، يود،

وتمتاز هذه الطريقة عن جميع الطرق المقترحة من قبل
بالأمور الآتية :

— أنها تخلص الرسم العربي تخليصاً تاماً من عيبه الرئيسيين
الذين أشرت إليهما في صدر هذا المقال ومن جميع آثارها
الضارة التي أشرت إليها كذلك ، وتحقق جميع الفوائد
المقابلة لها

٢ - أنها تعفى القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقي القارئ والكاتب شرور الانحراف المترتب على هذه الحركات وموضعها . وذلك أن طريقتنا ترسم الحركات في صلب الكلمة نفسها . ولا تشتمل

إلا على ثلاث علامات خارجة عن صلب الكلمة ؛ ولكنها تشير إلى أمور أخرى غير حركة الحروف ، وهي الهزة وعلامة الوصل وعلامة اللام الشمسية وعلامة الواو غير اللينة أ ^٨ ل ^٨ و ^٨ ٣ - أنها لا تقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، ولا تحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربي المدون بالرسم القديم . لأنها تستخدم نفس الصور والأشكال التي يستخدمها هذا الرسم (فبالكسرة والضمة والعلامة المميزة لهزة للوصل واللام الشمسية والواو غير اللينة - ، ٨ . على أن العلامتين الأوليين قريبتان جداً من شكلهما القديم ، والعلامة الثالثة لا تغير شيئاً من هيكل الحرف وإنما ترمز إلى أنه غير ناطق أو غير لين) . فالعالم بهذه الطريقة يستطيع مع شيء يسير جداً من التأمل والمران أن يقرأ الكتب المدونة بالرسم الحالي

ولا يؤخذ على هذه الطريقة إلا أمران :

(أحدهما) أنها تطيل رسم الكلمة قليلاً بالنسبة إلى رسمها القديم . ولكن ضرر هذه الإطالة ليس شيئاً مذكوراً بجانب ما تحققه من جليل الفوائد للعربية وأهلها . على أن معظم عيوب الرسم القديم قد نشأت عن مبالغته في الاختزال والتعمية وإغفال الرمز إلى كثير من الأصوات التي ينطق بها في الكلمة فلا يرجى له إصلاح جدى إلا بالقضاء على اختزاله وتعميته واعتماده على فراسة القارئ . وهذا يستلزم حتماً أن يطول رسم الكلمة حتى تكون رموزها معبرة تمام التعبير عن جميع أصواتها . هذا إلى أننا لم نأل جهداً في تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الاقتصاد في مجهود القارئ والكتاب والطابع ^(١) ، مع عدم الإخلال بالفرض المقصود ، وذلك بما تضمنته طريقتنا

(١) تزيد صناديق المطبعة بحسب الطريقة القديمة على مائة صندوق للحروف فقط ، وتبلغ نحو مائة وثلاثين إذا أضيف إليها صناديق الشكل وملحقاته ؛ بينما تبلغ بحسب طريقتنا ثلاثة وأربعين فقط ، منها ثمانية وعشرون للحروف والباقي للثلاث المروطة والواو والياء غير اللينتين وهزة القطع وهزة الوصل واللام الشمسية وعلامتي التشديد والتثنية في أوضاعهما الثلاثة والفتحة والكسرة والضمة (و ي أ ل ء ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠) فالصناديق في طريقتنا تقل حتى عن صناديق الطابع الأفرنجية نفسها .

من الأصول المشار إليها في موادها التاسعة والعاشر والحادية عشرة والثانية عشرة . على أنه من الممكن أن تحذف علامة الحرف المفتوح لكثرة دوران الفتحة في اللغة العربية ، وثبتت علامة الحرف الساكن لقلّة دوران السكون ، فيتحقق بذلك بعض الاقتصاد ؛ وإن كانت الطريقة الأولى أكثر مطابقة للنطق (وثانيهما) أنها ترسم حروف الكلمة متفرقة . ولكن رسم الحروف متفرقة أسلوب سليم لا غبار عليه ولا غرابة فيه . فقد سار عليه معظم أنواع الرسم السامي (الفينيقى والعبري والآرامى والحبشى واليمنى ...) وسار عليه الرسم العربي نفسه في أقدم صورته ، ويسير عليه الآن الرسم الأوربي في الطباعة ؛ بل لقد أخذ هذا الأسلوب منذ أمد غير قصير ينفذ إلى أقلام الكتابين باللغات الأفرنجية ، وأخذت مدارس كثيرة تسير عليه في تعليم الهجاء الأفرنجي وتأخذ تلاميذها به في كتاباتهم . وقد رأيت بعد تفكير طويل أن هذا الأسلوب وحده هو الكفيل بتخليص الرسم العربي من عيوبه وتحقيق الغايات التي نرى إليها على أحسن وجه وأكمله . فبفضله نستطيع أن نرمز إلى أصوات اللد القصيرة (الحركات) بعلامات ترسم في هيكل الكلمة لا فوق حروفها أو تحته ، وبفضله يصبح لكل حرف صورة واحدة لا تتغير ، مهما كانت حركته وكان موضعه في الكلمة

صحيح أن من اعتاد الرسم والقراءة على الطريقة القديمة التي تقوم على الاختزال ووصل الحروف بعضها ببعض ، سيعانى بعض العنت في السير على هذه الطريقة المفصلة المتفرقة الحروف . ولكن قليلاً من المران كفيل بتخفيف هذا العنت وإزالته . على أن عبء سيكون مقصوداً على أهل الجيل الحاضر ممن تعلموا على الطريقة القديمة . وأمر كهذا لا يقام له وزن بجانب ما تحققه الطريقة المقترحة من تقويم الألسنة والأقلام ، وصيانة للعربية الفصحى ، وتسهيل في طرق تعلمها وتعليمها ، وتثبيت لمسكتها في النفوس ، وتمكين كل فرد من قراءة أية عبارة قراءة صحيحة مهما كانت درجته في العلم ضئيلة ، ومهما كان ضعيفاً في مبلغ

إلمامه بقواعد اللغة

عنى عبد الواحد رضى

دكتور في الآداب من جامعة السوربون

ديوان أفراح الربيع

المشاعر من البحري

للاستاذة فدوى عبد الفتاح طوقان

— — — — —

لعل الحركة الأدبية في مدينة حيفا أظهر مما هي في المدن الأخرى من فلسطين ، فهذا النشاط الدائب الذي نراه في جمعياتها وأنديةها يجعلنا نقول بهذا الرأي ، ويميز قولنا ما تطالعنا به في كل مناسبة من مهرجان تقيمه أو ذكرى تحييها تستقرز بها الهمم وتوحي إلى الأدباء والشعراء

وقد طلع علينا في العام الماضي نادى أنصار الفضيلة في حيفا بديوان الأمثال والأسرار للشاعر الشاب حسن البحري ، وإذ قرأنا فيه كلمة اللجنة الثقافية للنادى ، تلك اللجنة التي (أخذت العهد على نفسها أن تخدم لغة الضاد وأن تناضل لتزود عن لغة القرآن ، وأن تبحث وتنقب عن تلك الكتب الضائعة المخفية وراء ظلام الوحدة لتخرج بها إلى عالم النور) أقول إننا إذ قرأنا هذا رأينا أى نهضة أدبية تتطلع إليها عيون الشباب في فلسطين وأى مطمح نبيل يساور قلوبهم المنفتحة للنور . فأقم نفوسنا الأمل المشرق وملاها جمالا وجلالا وإيماناً بالمستقبل .

هذه ظاهرة ميمونة لم أربدا من الإشارة إليها إذ أقدم بين أيدي القراء ديوان « أفراح الربيع » لشاعر حيفا حسن البحري ، أو شاعر الحب والجمال كما يسميه صديقه الشاعر المصري أحمد رامى

نقرأ في هذا الديوان كتاب الطبيعة المفتوح وقد زافت في منظرها الفتان ، وفي جوها الذى سبج فيه خيال الشاعر تنضوع الأزهار وترف الأنداء على نغورها رقيقة براقه ، وهناك الجدول الراقص يستضحك من فرط الطرب (ويعزى من بكى

عسا بكى) بل هناك الدنيا ترف أمام عيوننا طيباً ونوراً وتمتلى شذى وعطوراً

والموسيقى وسحر إبقاعها بصيب وافر من الديوان ، وكثيراً ما نستمتع إلى حنين العود وأنين الناي فيه ، فقم لنا صور جمال الطبيعة ، تلك الطبيعة التي نشأ الشاعر في أحضانها الموقوفة رعل من جمالها ونهل ؛ والشاعر كما بلوح لنا موسيقى بطبعه وله هيام لا حده بالموسيقى ، فليس ذلك في (ألحان شاردة) وهو القسم الثانى من الديوان . حيث يستهله بقوله :

لئن يوماً حدا بكمو حنين لسان القبور الدارسات وأوقفكم على قبرى اعتبار أو استمبار عين الذكريات فناجونى بنأى أو كنان لتسمد في حفائرها رفاق وفى قصائده « عازف » و « ناي » و « وداع عود » وغيرها من الألحان الشاردة ، نحس بالألغام التي صيغت من ذوب القلوب ... فيمئت الذكرى وهاجت الشجن ، وقد تحمل الأرواح أحياناً من دنيا الموموم وتجملها تطوف بأشواقها على متن الغيوم ، وقد يهيج النغم أشجان القمر فيقف على باب مغيبه ويتمنى لو 'مد' بقالا له لسكى بتمتع بأنات الوتر . ولا عجب أن نرى وحي الموسيقى يشيع في الديوان فهي والشعر أخوان تسهم بهما النفس الجميلة ، وتسمو على أجنحتهما إلى دنياوات ساحرة

وهناك من القصائد ما هفت فيها روح الشاعر نحو أليفها حيرى مضطربة ، أذكر منها « الموعود » و « وادى الأحلام » وقد تشيع روحه الحيرى هذه في كثير من قصائده ولكنها في هاتين أظهر . ولتستمتع إلى هذا العتاب وما فيه من مهارة عذبة ، إذ يقول في قصيدة وادى الأحلام :

أنسيت عهدك والزمان مسالى فتركتنى والبؤس من أخذانى أم شاق قلبك غير ودئى شائق فرميت بى في وحدة الأحزان يا سالياً ما إن ذكرت زمانه إلا بكى زمنى وأن مكاني ثم بصف لنا ما كان في وادى أحلامه من طير وشجر وماء وزهر ، وكيف كان الماء يروى للبفسج شوقه وهيامه بمراشف الأغصان ، إلى أن يقول :

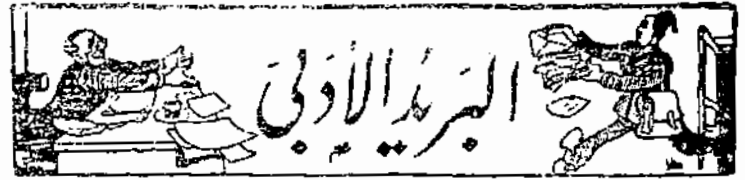
محدث يا صديقي وطوبى أن أطرق حرسك في هذا
الليل لأعود بعمالك وطبك في أمري وأمر الأعداء عندي ،
ولكنني لم أسمع صوتك بطرق سمى في هذا الليل إلا هذه
المرة ، ولم أسمع منك في هذه المرة غير تلك الكلمة
الواحدة . ولكنها الكلمة التي جمعت فيها من ألك ما لم أجمعه
في مئات الكلمات

ماتت !

ولا حاجة بعدها إلى مزيد

وليس من عادتي أن ألطم العزاء على المفجوعين في ساعة
الفجعة الدامية ، لأنني أحسبه اجتراء على قدس الأحزان
لا خير فيه ، ولكنه صوت سمعته لا بد له من جواب تسمعه غير
الصمت والسكون . . . فقلت كأنني لا أعلم ما أقول :

« إنك رجل يا دكتور ، وإن تنفمك الرجولة في مقام بعد
اليوم إن لم تنفمك بالصبر الجليل في هذا المقام »



إلى الطبيب القدير الدكتور مسبح همت

يا صديقي . وبا طبيبي !

دار الحول واقتربت الساعة التي أوشكت أن تكون موعد
إفناء منظور ، وقد كانت عندك أجمع فراق مرهوب

مضت ثلاثة أعوام على تلك الليلة التي ناديتني فيها لتبلغني
كلمة واحدة لم ترد عليها ، ولكنها لا تحمل الزيادة ، لأنها
وسمت من التعبير عن آلام نفسك - أيها الصديق العزيز -
ما تضيق به المعجيات والأسفار

ريخيل إلى أنني أسمعا الساعة كما سمعتها منذ ثلاثة أعوام ،
لأن للكلمات أرواحاً تعيش وتموت ، وأعماراً تطول وتقصّر ،
وقلما تموت كلمة مرهونة بألم طويل العمر ، مديد البقاء

يا من رسمت خياله بمدامى وحلت من ذكراه ما أشجاني
أنسيت وادينا وما كنا به من حلو أحلام وعذب أمانى
كم ساعة للوصل في أحضانه سمعت بظل التوت والرماني
ولا أغفل عن ذكر قصيدته الجميلة « زهرة العمر » ومنها :
أخاف على زهرتي أن تموت وسلوة روعي في عطرها
لقد سمعت من فؤادي الجريح شجاء فكنته في سرها
وبنت أساه لنظارها ببسمة شجوا على ثمرها
وفي القصيدة نظرات فلسفية في الحياة والمصير الذي
ننتهي إليه

وليس ما يؤخذ على الشاعر الشاب سوى وقوعه أحياناً
في « سناد الردف » وهذا من عيوب القوافي ، فقرأ ردفي
في القافية بحرف الألف حيث يدع الردف في القافية التي سبقت
أو تلت كقوله في قصيدة « عيد في عيد » إذ يشير إلى مولد
النبي صلعم :

مولد كالشمس في إشراقها ضرواً الدنيا بأنوار اليقين
مالت الشمس له عن شرقها ثم حيتة بإحناء الجبين

وكذلك في قصيدة « زورق الأحلام » حيث يردف بحرف
الياء في قافية (الطير) بينما تخلو قوافي القطعة كلها من الردف
مثل النهر والمطر

هذه هنات ما كنت أحب أن آتي عليها لولا إشارتي للشاعر
ورغبتني الخالصة في أن يتجنبها في القبل من شعره ، وما عدا
ذلك فالديوان بفيض بالشاعرية والجرس الموسيقي الذي يشمل
كلماته المنتقاة التي تدل على ذوق جميل وطبع أصيل

وتصدر الديوان أبيات للشاعر أحمد رامي صديق شاعرنا ،
فبين الشاعرين تألف روعي مصدره ذلك الشبه بين روجيهما
الهائمين في سماء الحب والجمال . والديوان رشيق الطبع أيقه ،
مزين بصور طبيعية لبلادنا الحبيبة الفاتنة ، وهذه الصور تكمل
في نفس القارئ شعوره بالجمال ، وقد طبعتته شركة فن الطباعة
في القاهرة ونشره محمد أحمد حجازي

وإذ أشكر للشاعر الرقيق هديته الجميلة فإنني أهنته بنتاجه
الموفق الجليل .

(نابلس)

فصوحه هبة الفتاح طرقاته

نعم يا صديقي ، وباطيبي .

إنك رجل ذو عزيمة وجلد وإباء . سهرت على الأهوال في بلاد الأهوال ، وصحبت الحرب الماضية في البلاد التركية وفي بلاد أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية يوم كانت تلك البلاد مواراة بالخطوب والفلاقل ، سواراة بالفتن واللالل ، تصبح في حال ولا تمسى عليه ، وتمسى ولا تدرى كيف يطلع عليها الصباح وبلوت من الدنيا ما هو أقسى على النفس من أهوال الفتن والحروب : بلوت منها يقلب القلوب وغدر الصحاب وخيبة الظنون

بلوت هذا كله فأرهنت ولا شكوت ولا أجريته على لسانك إلا كسر السامر وفكاهة المتحدث ، وعبرة المعتبر بأحوال الدنيا وخلائق الناس

أنت يا صديقي رجل ذو عزيمة

واسكتك واأسفاه رجل ذو قلب وذو ضمير . وكثيراً ما يكون القلب وحده مدداً للعزيمة ، والضمير وحده ينبوعاً للصبر والآباء

وها أنت يا صديقي تفجع في القلب فما جدوى العزيمة وما غناء الصبر وما حيلة الآباء ؟

أكنتُ نسيتُ ذلك كله ساعة أبلغتني الخبر المشنوم فأهبت منك بعزم الرجال ؟

إن كنت قد نسيت في تلك الساعة فما كان أخلقني إلا أنساه ، لأنني لمست شواهد قبيلا ذلك بأيام ، وشاءت الأقدار أن أسبقك إلى مصاب يهد القوى ويقت في الأعصاد ، وشاءت الأقدار أن تكون أنت في لوايح الخوف من وقوع مصابك الأليم ولا علم لي بشيء من ذلك ، لأنك كنت تواسيني مواساة الصديق والطبيب ، وتعود من نفسك بعزم أولى العزم ، وتسكن عني ما كنت فيه

فلما برح بي الألم ولجأت إليك أستمع منك عوناً لهذه البنية ينصرها على البرحاء علمت ما يشغلك ، وعلمت مبلغ صبرك على مقابلة الخوف والفزع والبلاء

علمت أنك هجرت بيتك ولزمت حجرة المستشفى منذ أيام ، وترك حرايك الذي لا تتركه لتقيم إلى جوار تلك العزيمة التي نودع الحياة : تلك العزيمة التي كان منها مدد قلبك ومدد

عزمك ... تلك الزوجة الرؤم بل ذلك الملك الكريم الذي سكنت إليه كما تسكن السفينة إلى الميناء الأمين بعد هوج البحار علمت أنك تأوى إلى المستشفى منذ أيام ولم أعلم ما حقيقة الداء وما مبلغ الرجاء في الشفاء ، وكان أغلب الطن عندي أنها عقدة من عقد الجراحة يحلها مبيض الجراح . فلما ذهبت إليك قويت عندي هذا الطن وتمالكت وتجلدت وألححت في السؤال عني لتطلق لساني وتسنيني ما أنت فيه وها أنت يا صديقي تفجع في القلب فما جدوى العزيمة وما غناء الصبر وما حيلة الآباء ؟

حين دق الجرس في هدأة الليل ، وسمعت صوتك يحش باليسكاه ، وباقى إلى بتلك الكلمة القصيرة في حروفها ، الطويلة في عقايلها — لم يخطر على لساني إلا الصبر أثوب بك إليه ، ولولا ذهول المفاجأة لخطر لي أن الصبر قد أصيب في القتل النميع ، لأنه قد أصيب في القلب الذي يمتص به الرجل الصبور ، وكثيراً ما يتراجع الرجال بعزائمهم إلى قلوبهم ، فإذا أصيب القلب — فإلى أين يتراجعون ؟

ذلك هو اللغم في الميناء ، وإنه لأهول من الأعصار في هوج البحار

واليوم وقد دار الحول دورته الثالثة لا أحاول العزاء ، لأن العزاء تخفيف من الأسى والأسى على الأعزاء عزيز مثلهم ، لا يروقنا أن نمسه بتخفيف

إنما أحاول ترويض الحزن بشيء من التذكير

ولا أذكرك إلا بمصائب الحياة إلى جانب مصائب الموت . فوالله يا صديقي أن الحياة لأقسى من الموت في أكثر من مصاب ، وأن قسوة الموت لرحمة في بعض الأحيان عند قسوة الحياة ، فليست أوجع السهام مخبوءة لنا في جوف التراب ، بل هي مخبوءة لنا في رحب الهواء

إن فقدان الموت يورثنا الألم ولكنه الألم الذي لا نهون به ولا نخجل من قبوله ، وقد نشرف أمام أنفسنا بالصبر عليه والحزن إليه وكما من فقدان في الحياة يورثنا الألم الذي نخجل وبضيم ، لأنه ألم لا يحمل بنا أن نمسه ولا يشرفنا الصبر عليه والحزن إليه ، وإنما يشرفنا أن نقتله من جذوره كلما استطعنا ، وقد لا نستطيع

لك يا ابن النُسر الميامين نفسٌ خلقت من مكارم الأخلاق
فرقتنا الدنيا فهل يا زكى أنا باق إلى اللفا ، أنا باق
سأراك يا أيها الشاعر إن سئحت فرصة لزيارة بغداد ،
وسأراك إن تفضلت بزيارتي في وطني ، فأنا بحمد الله من أكابر
الأغنياء في وطني ، وسيكون من الشرف أن أهدى إليك داراً
في سنتريس هي طيف من دارك في بغداد ، يا شاعراً سابق
الرصافي إلى إكرام في بغداد .

زكى مبارك

حول أبي فراس الحمداني

إلى مترجي دائرة المعارف الإسلامية
قرأت ترجمة أبي فراس في دائرة المعارف الإسلامية ،
فاسترعى نظري أمران خالف فيهما وجه الرأي مترجمو هذه
الدائرة ، والواجب العائلي يقضي بالتنبيه إليهما
أما الأمر الأول فما جاء في هذه الترجمة من قولهم :
« وقبض عليه (أي أبي فراس) للمرة الثانية عام ٣٥١ هـ
(٩٦٢ م) وسبق إلى القسطنطينية وسجن فيها عدة أعوام ، ونظم
في ذلك الحين صرائف مؤثرة رثى بها أفراد أسرته ، ومن بينها
صريته المشهورة في أمه التي ترجمها أهلواردت Ahlwardt » .
وهذا خطأ واضح ؛ فإن أبا فراس لم يرث أمه أصلاً ؛ لأنه مات
قبلها كما أجمع على ذلك مؤرخوه

أما القصيدة التي يشير إليها بروكلمان الذي كتب هذه
الترجمة ، فليست قصيدة رثاء لوالدته ، ولكنها قصيدة أرسلها
إليها وقد ثقل من الجراح التي نالت ، ويئس من نفسه فكتب
إلى أمه كأنه يعزيها ، وأول هذه القصيدة التي ترجمها أهلواردت
إلى الألمانية

مصابي جليل والمزاء جميل وطني بأن الله سوف يزيل
والأمر الثاني قولهم : « وتمتاز أشعاره بطابع شخصيته
القوى الواضح ، وهي أقرب ما تكون إلى اليوميات . ولو أنها
لا تختلف في أسلوبها عن أشعار معاصريه ، وهي ليست في روعة
أشعار المتنبي »

وقد نقل المستشرق المعروف بلاشير Blachère في كتابه

كل مفقود بالموت يستحق الحزن عليه ، وكل مفقود
بالحياة فالحزن عليه كثير
ولا كرم لنا والأعزاء أن نفقد موتى ولا نفقد أحياء ،
وما يرضينا أن نفقد على حال من الحالين لو كان لنا اختيار بين
الأسرى ، ولكننا مسيروا يا صديقي للقضاء ، ولا حيلة
يا صديقي للموتى ولا الأحياء ، مع حكم القضاء
هباس محمود العقاد

شرح ومرة الوجود

في غير هذا المكان من الرسالة يجد القراء كلمات كتبتها
لنفسى ، ولم أكن أنوى نشرها في هذا الوقت ، ولكن المقال
الأخير للأستاذ دريني خشبة حملني على تقديمها للجنة الرسالة ،
لتكون جواباً على اعتراضات كثيرة واجهني بها كثير من
أصدقائي ، وتمنوا أن أجيب ، ليستطيعوا الإجابة عنى حين
يستطيل أعدائي

وأقول بعبارة صريحة : إن الأستاذ دريني بعيد كل البعد
عن نظرية وحدة الوجود ، ومقالاته في نقضها تشهد بأنه لا يريد
أن يسمع ما نقول في تأييد هذه النظرية ، وأنه يحرص على أن
تكون كل فكرة موصولة بالدين الإسلامي ، مع أنني قلت له
إني لا أجعل الإسلام في بالي حين أواجه معضلات الوجود ،
لأن الإسلام ينهانا عن مواجهة تلك المعضلات

وقراء الرسالة يشهدون أنني فررت من الميدان حين رأيت
أن ثباتي فيه يمرضهم بلبله فكرية لا أريدها لهم بأى حال ،
وأنا القائل بأن الجد كالزق فيه حرام وحلال ، وأنا لهذا أبغض
الشهرة المجلوبة بإيذاء الناس

وقال قومٌ إنه كان يجب أن أرد على الأستاذ معروف
الرصافي ، وأقول إني لن أرد عليه ، لأنه أكرمني بنقد آرائي ،
وأنا أحترم من ينقدون آرائي بإخلاص ... وقد قلت مرة إن
الذوق خير ما دعا إليه الأنبياء ، ولهذا المعنى لن أناقش الأستاذ
دريني ، لأنه من أعز أصدقائي ، وإن كان يتفر من آرائي

وأنتهز هذه الفرصة فأسجل بيتين هما خير ما قال صديق
في الشوق إلى صديق ، وهما تحية من الشاعر عبد الرحمن البهاء :

عن المتنبي (ص ٣٣٠) رأى بروكلمان الذى ذكره فى دائرة المعارف الإسلامية ، وهو يخالف هذه الترجمة التى نقلها إذ يقول:

Comme von Kremer, Brockelmann met Aboû Firâs bien au dessus d'Abou 'l-Tayyib

أى أن بروكلمان ، مثل فون كريمير ، يضع أبا فراس فى مرتبة أعلى من مرتبة أبى الطيب . ومنه يتبين الفرق بين ما نقله بلاشير عن بروكلمان فى دائرة المعارف وما ترجمه مترجمو هذه الدائرة إلى اللغة العربية .

أحمد أحمد مبرى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

(حاران)

الهكسوس رعدة حكمهم لمصر

اختلف الأستاذان سيد قطب وصالح ذهنى فى تحديد مدة حكم الهكسوس لمصر . فهذه المدة فى رأى الأستاذ ذهنى مائتا عام أو أقل مستنداً فى ذلك إلى الفصل الذى كتبه الدكتور أبو بكر فى كتاب «المجمل فى تاريخ مصر العام» ، وهى فى رأى الأستاذ قطب خمسمائة عام مستنداً إلى جوستاف لوبون فى كتاب « الحضارة المصرية القديمة » ، وهذا فارق كبير فى التقدير يحتاج إلى كثير من التحقيق

يقرر الدكتور أبو بكر أن الهكسوس دخلوا مصر عام ١٧١٠ ق. م . وطردها منها نهائياً عام ١٥٨٠ ق. م . فتكون مدة حكمهم قرناً ونصف قرن . ويقدر الأستاذ برستد فى كتاب « تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي » المدة بين حكم الأسرة الثالثة عشرة (وهى التى بعد إخملاها أغار الهكسوس على مصر) ، وبين نهاية حكم الأسرة السابعة عشرة بمئتين وعمانية أعوام (١٧٨٨ - ١٥٨٠ ق م) بما فى ذلك مدة حكم الهكسوس ، ويؤكد أن مدة حكمهم لم تزد على مائة عام ، وبجمل المسيو دريتون فى كتابه : « Les Peuples de l'Egypte l'Orient Méditerranéenne II » مدة حكمهم بمائة وخمسين عاماً (١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق م)

أما الذين قالوا ببقاء الهكسوس بمصر خمسة قرون . فلا

أذكر منهم غير المؤرخ اليهودى جوسيفوس الذى زعم أنه نقل عن مائتينون أنهم استعمروا بمكمون مصر ٥١١ عاماً . ولكن برستد يقرر أنه لم يوجد على الآثار ما يؤيد كلام مائتينون ، كما يقرر الدكتور أبو بكر مباغتة مدة حكم الهكسوس

ويرجح الأستاذ دريتون حدوث المحاولات التى انتهت بطرد الهكسوس بين (١٦٨٥ - ١٥٨٠ ق. م) ، ويورد قائمه بأحد عشر ملكاً سماهم ملوك الأسرة السابعة عشر حدثت فى أيامهم تلك المحاولات ، فتكون مدة هذا النضال مائة عام وليست مائتين أو مائة وخمسين كما يحاول الأستاذ قطب تأويل كلام الأستاذ ذهنى هذا ونأمل أن يتقدم أحد المشتغلين بتاريخ مصر القديم والمهتمين بعصر الهكسوس بصفة خاصة ، وأقصد به الأستاذ الدكتور باهور ليمرض عصر الهكسوس عرضاً سليماً صحيحاً ويجعل لنا بصفة خاصة مسألة العجلات الحربية ، ولا يخفى على دارسى تاريخ مصر القديم ما كان للهكسوس من أثر كبير فى ذلك التاريخ وبعد فأنتهز هذه الفرصة لأعرب عن أسفى لاستعمال ذلك الأسلوب الذى غلب على الأستاذين للتساجلين ورى أحدهما الآخر بالتبجح والجهل ، فإ كانت الحقائق التاريخية لتخضع لمثل هذا الجدل ، بل لابد أن يدحضها منطق سليم وتؤيدها أدلة ثابتة قاطعة وكما أود كذلك لو انتفع النقاد بما كتبه الدكتور مبرى فى العدد ٥٩٠ من الرسالة ، فهذا دستور سليم لمن أراد نقداً أدبياً صحيحاً ، فقد سئمنا ذلك الأسلوب الذى جرت عليه المساجلات والمناقشات فى السنين الأخيرة ، وطالما نأذينا من ذلك الصغار الذى يقلب على كتابة كبار الكتاب ، وكما نرجو أن تكون الحجة هى الفاصل والعقل هو الحكم ، والخلق الأدبى هو الذى يسود حتى يتخلص النقد الأدبى من تلك المهارات التى لا تقدم ولا تؤخر ، بل تنزل من قيمة كاتبها درجات ، ويبعث فى مصر الرأى العلمى الصحيح الذى يزن الأمور بميزان النقد الصحيح . فلا يكون النقد أداة هدم خب .

مصطفى كمال هبم العليم

(الإسكندرية)

ليسانسيه فى التاريخ